



سيسنرف ابابل ةسادق ةظع

داليملا ديع قىلىل يىف

سررطب سسّ دقلا كىل لىزاب

ملاك من عند الله، محاطًا بالنور، أضاء الليل وحمل إلى الرعاة البشرى السارة: "إِنِّي أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ قَرَحُ الشَّعْبِ كُلِّهِ: وَلَدَ لَكُمْ الْيَوْمَ مُخْلِصٌ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَهُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لوقا 2، 10-11). وسط دهشة الفقراء البسطاء وتسييح الملائكة، انفتحت السماء على الأرض: صار الله واحدًا مِنَّا ليجعلنا مثله، نزل بيننا ليرفعنا ويضعنا بين ذراعي الآب.

لَتَتَعَلَّمْ من مثال الرَّعَاةِ: الرَّجَاءُ الَّذِي يُولَدُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَا يَحْتَمِلُ كَسَلَ الْخَامِلِينَ أَوْ كَسَلَ الَّذِينَ نَظَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي رَاحَتِهِمْ. وَلَا يَقْبَلُ الْحِكْمَةُ الزَّائِفَةُ لِمَنْ لَا يَخْرُجُ عَنْ طَرِيقِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْحَقَ بِهَا ضَرَرٌّ، وَلَا حِسَابَاتٍ مِنْ لَا يَفْكُرُ إِلَّا فِي نَفْسِهِ. وَالرَّجَاءُ الْمَسِيحِيُّ يَتَعَارَضُ مَعَ الْحَيَاةِ الْهَادِنَةِ لِلَّذِينَ لَا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ ضِدَّ الشَّرِّ وَالظُّلْمِ الْمُرْتَكَبِ ضِدَّ أَشَدِّ النَّاسِ فَقْرًا. بَلِ الْعَكْسُ، الرَّجَاءُ الْمَسِيحِيُّ، إِذْ يَدْعُونَا إِلَى الْإِنْتِظَارِ الصَّابِرِ لِلْمَلَكُوتِ الَّذِي يَنْبُتُ وَيَنْمُو، يَطْلُبُ مِنَّا الشَّجَاعَةَ لَتَحْقِيقِ هَذَا الْوَعْدِ الْيَوْمَ، بِمَسْئُولِيَّتِنَا وَرَحْمَتِنَا.

بِالنَّظَرِ إِلَى كَيْفِ نَهْيٍ مَرَارًا أَنْفُسَنَا فِي هَذَا الْعَالَمِ مُتَكَيِّفِينَ مَعَ عَقْلِيَّتِهِ وَمَنْطِقِهِ، كَتَبَ كَاهِنٌ صَالِحٌ هَذِهِ الصَّلَاةَ مِنْ أَجْلِ عِيدِ الْمِيلَادِ الْمُقَدَّسِ: "يَا رَبِّ، أَطْلُبُ إِلَيْكَ بَعْضَ الْعَذَابِ، وَبَعْضَ الْقَلْقِ، وَبَعْضَ النَّدَمِ. أَوَدُّ أَنْ أَجِدَ نَفْسِي غَيْرَ رَاضٍ فِي عِيدِ الْمِيلَادِ. سَعِيدًا، وَلَكِنْ غَيْرَ رَاضٍ أَيْضًا. سَعِيدًا بِمَا تَصْنَعُهُ أَنْتَ، وَغَيْرَ رَاضٍ عَنْ غِيَابِ أَجُوتِي. أَزِلْ عَنَّا سَلَامَنَا الزَّائِفَ، وَضَعْ فِي "مَذُودِنَا" الْمَمْتَلَى دَائِمًا، حَفْنَةً مِنَ الْأَشْوَاكِ. اجْعَلْ قُلُوبَنَا تَرْغَبُ فِي شَيْءٍ آخَرَ" (أَلِيسَانْدَرُو برونزاتو، تَسَاعِيَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ).

الرَّجَاءُ الْمَسِيحِيُّ هُوَ بِالتَّحْدِيدِ "الشَّيْءُ الْآخَرُ" الَّذِي يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ تَتَحَرَّكَ "بِسُرْعَةٍ". فِي الْوَاقِعِ، نَحْنُ تَلَامِيذُ الرَّبِّ يَسُوعَ مَدْعُوعُونَ إِلَى أَنْ نَجِدَ فِيهِ مِنْ جَدِيدِ رَجَاءِنَا الْأَكْبَرِ، لِنَحْمِلَهُ فِي مَا بَعْدَ وَمِنْ دُونِ تَأْخِيرٍ، مِثْلَ حُجَّاجِ النُّورِ فِي ظُلُمَاتِ الْعَالَمِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، هَذَا هُوَ الْيُوبِيلُ، وَهَذَا هُوَ زَمَنُ الرَّجَاءِ! إِنَّهُ يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَكْتَشِفَ مِنْ جَدِيدٍ فَرَحَ الْإِقْدَامِ مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَبَدْعُونَا إِلَى التَّجَدُّدِ الرُّوحِيِّ وَبِجَعْلِنَا نَلْتَزِمُ فِي تَغْيِيرِ الْعَالَمِ، حَتَّى يَصِيرَ هَذَا الزَّمَنُ زَمَنَ الْيُوبِيلِ حَقًّا: مِنْ أَجْلِ أُمَّنَا الْأَرْضِ، الَّتِي تَعَانِي مِنْ مَنْطِقِ الْإِسْتِغْلَالِ، وَمِنْ أَجْلِ الْبُلْدَانِ الْأَشَدِّ فَقْرًا، الَّتِي تُثْقَلُهَا الدِّيُونُ غَيْرَ الْعَادِلَةِ، وَمِنْ أَجْلِ كُلِّ الَّذِينَ هُمْ أُسْرَى الْعِبُودِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَالْجَدِيدَةِ.

لِجَمِيعِنَا أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْعَطِيَّةُ، وَكُلُّنَا مُلْزَمُونَ بِهَذَا الْإِلْتِمَامِ فِي أَنْ نَحْمِلَ الرَّجَاءَ إِلَى حَيْثُ قُفْدٌ: حَيْثُ يُعْتَدَى عَلَى الْحَيَاةِ، وَحَيْثُ الْإِنْتِظَارُ يَلْقَى الْخِيَانَةَ، وَحَيْثُ الْأَحْلَامُ تَكْسِرُ، وَالْقَلْبُ حَطَمَهُ الْفَشَلُ، وَإِلَى الَّذِينَ أَعْيَاهُمُ الْمَسِيرُ وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّيْرِ، وَإِلَى مَرَارَةِ الْوَحْدَةِ الَّذِي يَشْعُرُ بِأَنَّهُ مَهْزُومٌ، وَإِلَى الْأَلَمِ الَّذِي يَنْخَرُ النَّفْسَ، وَإِلَى أَيَّامِ السُّجُنَاءِ الطَّوْبَةِ وَالْفَارِغَةِ، وَإِلَى عُزْفِ الْفُقَرَاءِ الْبَارِدَةِ وَالصَّيْقَةِ، وَإِلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي دَنَسَتْهَا الْحَرْبُ وَالْعَنْفُ. اَحْمِلُوا الرَّجَاءَ هُنَاكَ، وَارْزَعُوا الرَّجَاءَ هُنَاكَ.

يُفْتَحُ الْيُوبِيلُ لِكَيْ يُعْطِيَ رَجَاءَ الْإِنْجِيلِ لِلْجَمِيعِ، رَجَاءَ الْمَحَبَّةِ وَرَجَاءَ الْمَغْفَرَةِ.

وَإِذَا عَدْنَا إِلَى مَغَارَةِ الْمِيلَادِ، وَنَظَرْنَا إِلَيْهَا، وَإِلَى حَنَانِ اللَّهِ الَّذِي يَتَجَلَّى فِي وَجهِ الطِّفْلِ يَسُوعَ، لِنَسْأَلَ أَنْفُسَنَا: "هَلْ يَوْجَدُ فِي قَلْبِنَا هَذَا الْإِنْتِظَارُ؟ هَلْ يَوْجَدُ فِي قَلْبِنَا هَذَا الرَّجَاءُ؟ [...] عِنْدَمَا تَتَأَمَّلُ فِي لَطْفِ اللَّهِ الَّذِي يَغْلِبُ شُكُوكَنَا وَمَخَافَتَنَا، لِنَتَأَمَّلْ أَيْضًا فِي عَظَمَةِ الرَّجَاءِ الَّذِي يَنْتَظِرُنَا. [...] لِنَتَرَّ رُؤْيَا الرَّجَاءِ هَذِهِ مَسِيرَتَنَا الْيَوْمِيَّةَ" (كَارَلُو مَارِيَا مَارْتِينِي، عِظَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ، 1980).

أَخْتِي، وَأَخِي، مِنْ أَجْلِكَ يُفْتَحُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ "البَابُ الْمُقَدَّسُ"، بَابُ قَلْبِ اللَّهِ. يَسُوعُ، اللَّهُ مَعْنَا، يُولَدُ مِنْ أَجْلِكَ، وَمِنْ أَجْلِنَا، وَمِنْ أَجْلِ كُلِّ رَجُلٍ وَكُلِّ امْرَأَةٍ. وَمَعَهُ يَزْهَرُ الْفَرَحُ، وَتَتَغَيَّرُ الْحَيَاةُ، وَالرَّجَاءُ لَا يُخَيِّبُ.
